الفيسبوكيات

د. أيمن زهري

الفيسبوكيات

إسم الكتاب: الفيسبوكيات
المؤلف: د. أيمن زهرى
الناشر: د. أيمن زهرى
رقم الايداع: 2014/3727
الترقيم الدولي: 977-90-1420-3

Suggested English Citation:
Zohry, Ayman (2014) The Facebookies [Al-Facebookiyãt], Ayman Zohry, Cairo (in Arabic).

الفيسبوكيات

د. أيمن زهرى

المحتويات

على سبيل التقديم

1	التوحيد والنور: شركة بيع المصنوعات ... المصرية!	11
2	أين عمري؟	15
3	المحمول يلتهم 35 مليار جنيه من أموال الغلابة!	19
4	زمان والآن	23
5	عشش القرود	27
6	ساري عسكر وهوجة العباد في مصر المحروسة	29
7	العالم العربي بعد إنتهاء الحكم العثماني	31
8	فاتبع سببا!	33
9	الفلاحون	37
10	جهاد كيبورد	41
11	خصوبة المسلمين في تناقص مستمر	45
12	المعاكسات بعد الثورات العربية	47
13	العلوم الشرعية المستباحة	49
14	اليوم الدولي للمهاجرين	53
15	المجانين في نعيم ... والجهلاء أيضا!	57
16	تلك المهزلة الرمضانية	59
17	العانسون من الرجال	61

18	حلاق بروكسل	65
19	عبد الباسط عبد المعطي: رحيل رجل عظيم	69
20	يوميات بروكسل	73
21	العمالة المصرية بين نظام الكفيل وشركات التوظيف	77
	المؤلف	

إهداء

إلى أصدقائي خارج الفضاء الإفتراضى، أهدي هذا الكتاب.

على سبيل التقديم

منذ صدور كتابي الأخير "سلفني 3 جنيه" حول الإتصالات والمجتمع في مصر عام 2010، يسألني الزملاء والأصدقاء دائما: لماذا توقفت عن الكتابة؟ أين كتبك الجديدة؟ في الحقيقة لا يمكن لباحث أن يتوقف عن الكتابة لأن الكتابة بالنسبة للباحث كالحياة، لا يجف قلمه إلا عندما يتوقف نبضه. الحكاية أنني تحولت بعض الشيء للكتابة الآنية العفوية التي يسّرتها الوسائط الحديثة وشبكات التواصل الإجتماعي مثل التويتر والفيسبوك فاصبحت أبوح لتلك الوسائط بمكنون صدري. إلا أنني وقد تربيت على الورقة والقلم، أجدني أحن الى رائحة الورق وأحبار المطابع فأجمع بعضا مما كتبته على الفيسبوك منذ صدور كتابي الأخير عام 2010 وأضعه بين دفتي هذا الكتاب.

أيمن زهري

التوحيد والنور: شركة بيع المصنوعات ... المصرية![*]

أثناء زيارتي لباريس عام 2005 وأثناء تجوالي في شارع ريفولي وجدتني وجها لوجه أمام متجر باتا للأحذية. إندفعت بتلقائية لداخل المتجر وخرجت متأبطا حذاءً جلدياً فاخراً تعادل قيمته أكثر من 600 مرة الأحذية التي كانت تشتريها لي والدتي من "باتا" المصري في الأيام الخوالي. من هم في مثل سني أو أكبر يعرفون ماذا تعني كلمة باتا في الذاكرة الجمعية للشعب المصري. فالغالبية العظمى من الطبقة الوسطى المصرية كانت تعتبر متاجر باتا لبيع الأحذية وجهتهم الأولي، وربما غالبية طلاب المدارس من أبناء جيلي إشتروا "جزمة كاوتش" من شركة باتا. "الكاوتش" في عهدي كانت قيمته 90 قرشا (0.9 جنيه). لم تكن هناك خيارات كثيرة وكانت أحذية باتا تفتقر للذوق ولكنها كانت متينة وعملية "وتوفر في الميزانية".

[*] نشرت في 14 نوفمبر 2013

أذكر أيضا أنني كنت أذهب برفقة والدتي رحمها الله الى متجر صيدناوي الشهير -في ذلك الوقت - خاصة المبني الأثري الجميل بالعتبة - لشراء الملابس مصرية الصنع قبل إكتساح الملابس الصيني للأسواق المصرية. بالإضافة الى مجموعة كبيرة من المتاجر المملوكة للدولة بعد تأميم عبد الناصر لها بعد ثورة 1952 مثل فرع عمر أفندي بشارع طلعت حرب الذي كان به - على ما أعتقد - أول سلم متحرك في مصر، كنا نسعد بالسلم المتحرك أكثر من الملابس الجديدة. أضف الى ذلك متاجر بنزايون وشملا والطرابيشي والصالون الأخضر وجاتنيو وشيكوريل وشركة بيع المصنوعات المصرية وهانو وبنتريمولي وغيرهم.

مع بدء خصخصة القطاع العام في تسعينات القرن الماضي أو ربما قبلها بسنوات قليلة إفتتح السيد رجب السويركي، الشيخ الملتحي القادم من محافظة السويس، أول فرع من فروع التوحيد والنور في شارع نوبار بباب اللوق كمركز تجاري متكامل على نمط الشركات الحكومية سالفة الذكر. وكان هذا المتجر عبارة عن مجموعة من المحال التجارية التي تغطي معظم مساحة الدور الأرضي للبناية الكائن بها المتجر. وقد كان لافتا للنظر في ذلك الوقت الصبغة الدينية لإسم المتجر الذي تزامن مع إرتفاع المد الوهابي القادم من جزيرة العرب من خلال المهاجرين العائدين. لم تكن الصبغة الدينية قاصرة فقط على الإسم ولكن أيضا طقوس العمل داخل المتجر حيث لا يُسمح بالعمل داخل المتجر سوي للذكور من مطلقي اللحى وإذاعة آيات الذكر الحكيم من خلال الإذاعة الداخلية بدلا من الموسيقى أو الأغاني بالإضافة الى الإلتزام بإغلاق المحال قبل موعد كل صلاة بوقت كاف، ولم تكن تلك الممارسات مطبقة على نطاق

واسع في ذلك الوقت ولم تكن قد ظهرت بعد لافتات "مغلق للصلاة" المنتشرة حاليا.

نظرا لرخص أسعار البضائع وتنوعها حلت محال التوحيد والنور محل المحال التجارية الحكومية سالفة الذكر، ومع إزدياد وتيرة الخصخصة إزدادت فروع التوحيد والنور لتصل الى أكثر من 35 فرعا في القاهرة الكبرى، وبدلا من إستئجار - أو ربما شراء - عدة محال في الطابق الأرضي في إحدى البنايات لإفتتاح محال جديدة كما هو الحال في الفرع الأول اصبحت المحال الجديدة للتوحيد والنور مملوكة من الأرض للسماء للشركة ما عدا عدد قليل من الفروع. وحرصت الشركة على التواجد في الأماكن الشعبية وغير الشعبية أيضا من المطرية وفيصل وشارع ترسا، الى شارع الهرم ومدينة نصر ومصر الجديدة.

بعد الإنهيار التام لمنظومة المتاجر الحكومية ذات التاريخ العظيم والماضي المشرق والتي أصبحت أثرا بعد عين أصبحت محال التوحيد والنور هي "شركة بيع المصنوعات المصرية ... عفوا شركة بيع المصنوعات الصينية .

فرحين بابتداء العام الدراسى
١٩٤٨-١٩٤٩
فرحين بملابسهم الجديدة
وكيف لا ... وقد اشتروها من
شركة بيع المصنوعات المصرية
مؤسسة بنك مصر الكبرى
المركز الرئيسى: ٢ شارع فؤاد الأول بالقاهرة
استعداد كامل لملابس التلاميذ والتلميذات
الشركة فروع بجميع مدن القطر المصرى

أين عمري؟*

لا يقاس مدى عطاء الانسان بعمره على الارض وإن طال، ولكن يقاس بالأثر الذي يتركه في هذه الحياة، فالزعيم الوطني المصري مصطفي كامل عاش 34 سنة، وجيفارا قائد حركات التحرر في أمريكا اللاتينية عاش 39 سنة، وسيد درويش مجدد الموسيقى وباعث النهضة الموسيقية في مصر والوطن العربي، عاش 32 سنة، والموسيقي النمساوي العبقري ولفجانج موزارت عاش 35 سنة، هذه أعمارهم البيولوجية وسنواتهم التي قضوها على ظهر البسيطة ولكنهم مازالوا يعيشون بين ظهرانينا. فمازال جيفارا ملهما لحركات التحرر في العالم، ومازال الزعيم الوطني مصطفي كامل رمزا للنضال والحرية ومازلنا نستلهم من التراث الموسيقي الذي خلفه لنا سيد درويش ما يثري ثقافتنا الموسيقية وحبنا لأوطاننا حتى أن أجيال الشباب تستخدم بعضا من موسيقاه كنغمات لهواتفهم المحمولة . ومازال العالم كله يستمتع بالتراث الموسيقي العظيم للعبقري الموسيقي موزارت. فهل بعد ذلك كله نستطيع أن نقول بأنهم قد ماتوا؟ لقد أكلت الارض أجسادهم ولكن ارواحهم مازالت بيننا تلهمنا وتسعدنا بعد سنوات طويلة من تحلل أجسادهم.

* نشرت في 11 نوفمبر 2013

هكذا كان أبو القاسم الشابي الشاعر العربي الفذ. ذلك الشاعر مرهف الحس الذي رحل جسده عن عالمنا عام 1934، أي منذ 80 سنة، لكن روحه ظلت باقية فينا تلهمنا حب الحياة وحب الأوطان وتلهمنا العزم والإصرار في دروب الحياة. ذلك الشاعرالرقيق العذب الذي يقول في إحدى قصائده:

عذْبةٌ أنتِ كالطّفولةِ ، كالأحلامِ
كاللّحنِ، كالصباحِ الجديدِ
كالسَّماءِ الضَّحُوكِ كالليلةِ القمراءِ
كالورد، كابتسام الوليدِ

هذا الشاعر الشاب الرقيق الذي يحمل في طياته بركان الثورة وحب الحياة، خليفة العظماء من أبناء هذه الامة التي أنجبتهم تونس الشقيقة من أمثال إبن خلدون وإبراهيم الحصري وإبن رشيق القيرواني ، إنه القائل:

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر في جوها واندثر

ما أحوجنا لرومانسيتك وثورتك يا أبا القاسم في هذا الزمان الذي طغت فيه المادة وسيطرت عليه لغة المصالح والمنافع وتحولنا فيه الى أرقامٍ أقرب الى الأصفار .....

أبو القاسم الشابي

المحمول يلتهم 35 مليار جنيه من أموال الغلابة![*]

كشفت دراسة حديثة للجمعية العلمية المصرية لمهندسى الاتصالات عن أن المصريين ينفقون نحو 35 مليار جنيه سنويا على خدمات المحمول، التى تتضمن إجراء المكالمات، وشراء الأجهزة، والدخول إلى الإنترنت، لاسيما بعد انتشار الهواتف الذكية. وقد أعلنت وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات عن ارتفاع عدد مشتركي الهاتف المحمول في مصر إلى 92 مليون مشترك، أكثر من عدد سكان مصر بالداخل بمقدار 7 مليون نسمة.

وبحسبة بسيطة نجد أن متوسط ما ينفقه المواطن على الإتصال من خلال التليفون المحمول يبلغ حوالي 410 جنيه سنويا أو ما يعادل 35 جنيه شهريا. وعلى الرغم من أنه ليس لدينا معلومات عن شرائح الإنفاق إلا أنه من البديهي أن توزيع الإنفاق على المحمول بين فئات المستخدمين يتراوح بين آلاف الجنيهات وبعض الجنيهات القليلة التي لا تتجاوز قيمة كارت شحن من فئة العشرة جنيهات. أما إذا حسبنا نسبة أعداد الخطوط إلى إجمالي عدد الأسر في مصر (حوالي 18 مليون أسرة) فسوف نجد أن كل أسرة في مصر تمتلك حوالي

[*] نشرت في 11 نوفمبر 2013

خمسة خطوط وهو ما يعني أن الإنفاق السنوى للأسرة على خدمات المحمول قد يصل الى أكثر من ألفي جنيه في المتوسط.

وتلعب سياسات التسويق بشركات المحمول الثلاثة العاملة في مصر دوراً كبيراً في زيادة أعداد الخطوط من خلال تطبيق معاملة تفضيلية للإتصال بخطوط داخل نفس الشبكة مما يضطر العديد من المستخدمين إلى إمتلاك أكثر من خط علي الشبكات المختلفة للإستفادة من المعاملة التفضيلية التي تقدمها كل شبكة. لكن لا يجب أن ننسى ونحن بصدد جلد الذات وإلقاء اللوم على المواطن البسيط وإتهامه بالسفه وسوء التدبير أنه ليست لدينا بيانات تفصيلية عن شرائح الإستخدام، التي إن وجدت لأوضحت أن نسبة كبيرة من هذا الإنفاق قد تنسب الى شركات التسويق وقطاع الأعمال والهيئات الدولية العاملة في مصر والجهات السيادية بالدولة، وأن المواطن العادي الذي يلهث وراء العروض التي تقدمها شركات المحمول، والذي لا يمتلك رفاهة شراء الباقات الشهرية والذي يكتفي بكروت الشحن المدفوعة مقدما بريء من هذه الإتهامات.

تتمثل المعضلة الأكبر في هذا المجال في توجه البعض للتدليل على الرفاهية التي يعيشها المصريون في ظل ثورة المعلومات في إمتلاك كل أسرة مصرية أكثر من خمسة خطوط للهاتف المحمول ولا يعلمون أن الغالبية العظمى من هذه الخطوط هي من نوعية الخطوط المدفوعة مقدما، يشحنها المستخدمون من خلال شراء كروت الشحن وأن الغالبية العظمي من المستخدمين "مقضينها "ميسدات"

وسُلَف من شركات المحمول "على ما تفرج" وربنا يرزقهم بثمن كارت الشحن الذي عادة ما "تلهفه" شركات المحمول بمجرد الشحن سداداً للسلف السابقة".

زمان والآن*

كنت أتململ ضجرا عندما كان يذكرني أبي أو أحد أقاربي في نفس سن أبي بمعاناتهم عندما كانوا صغارا وحكاياتهم المؤلمة عندما كانوا يذهبون للمدارس سيرا على الأقدام لعدة كيلومترات في البرد القارس شتاءً وتحت هجير الشمس المحرقة صيفا، وكذلك معاناتهم في البحث والدراسة من خلال إستخدام المكتبات العامة التي كانت المصدر الرئيس للمعرفة في هذا الزمان العابر وإضطرارهم للبحث في الأرشيف الورقي لهذه المكتبات قبل أن يظهر الحاسب الآلي وقبل بزوغ فجر الشبكة العنكبوتية الدولية ومحركات البحث التي جعلت العالم بين أطراف أصابع الكبار والصغار. وعلى الرغم من أنني عانيت بعضا من تلك المشاق في مرحلة الصبا والشباب إلا أنها لم تكن بأي حال من الأحوال مثل معاناة الجيل الذي سبقني .

وأجدني الآن بين جيليين، جيل الآباء الذي عانى الأمرين في سبيل المعرفة، وجيل الأبناء الذي ولد فوجد الدنيا عند أطراف أصابعه. وعلى الرغم من أنني كنت أتململ ضجرا من ترديد هذه الحكايات، إلا أنني لا أستطيع أن أمنع

* نشرت في 24 يوليو 2011

نفسي من أن أغبط هذا الجيل على ما هم فيه من نعمة و أقارن مقارنة بسيطة بين ما كنا فيه منذ عقود ثلاثة وما هم عليه الآن:

1. قديما لم يكن في قريتنا إلا ثمانية خطوط هاتف تعمل في فترات الدوام الرسمي فقط كانت موزعة بين نقطة الشرطة ومكتب البريد والوحدة الصحية والمدرسة الإعدادية وأربعة منها في المنازل. وكان عامل السنترال يقوم بتحويل الخط الرئيسي الى أحد المنازل في الفترة المسائية حتى صباح اليوم التالي .
2. لم يكن إختراع البريد الألكتروني قد ظهر بعد وكان لزاما على من يرغب في التواصل مع أحد ذويه أن يكتب له خطابا ورقيا. ونظرا لتفشي الأمية بين أبناء الشعب في ذلك العصر كان لزاما على من يريد أن يرسل خطابا أن يجد من يكتبه له - ثم تذهب سيرا على الأقدام الى مكتب البريد الذي ربما يبعد عن منطقة سكنه بضعة كيلومترات لإرسال الخطاب بعد وضع طابع البريد عليه. وبعد ذلك ربما ينتظر شهرا أو أكثر لتلقى الرد.
3. لم تكن الكهرباء قد دخلت قريتنا فلا يليق بي أن أحدثك عن التليفزيون أو الريموت كنرول الذي يجعلك تتقلب بين الشرق والغرب وأنت جالس على أريكتك
4. كانت الموسيقى متاحة فقط من خلال جهاز الراديو الذي يملكه الموسرون من أبناء قريتنا أو على المقهى الوحيد بالقرية الذي يمتلك هذا الجهاز. وعندما دخل التليفزيون الى بلدتنا قبل دخول الكهرباء

كان يعمل ببطاريات سائلة مثل بطارية السيارة. أما موسيقى الفقراء فكانت في الموالد والأفراح وهي موسيقى شعبية إرتجالية. لم يكن هناك أي بود ولا إم بي 3 ولا إم بي 4.

5. ألعابنا كانت حركية .. عسكر وحرامية واللعب بالطين بدلا من الصلصال. ولم نكن نستطيع إدارة المعارك وقتل الأعداء كما يفعل أبنائي من خلال الجيم بوي والنتندو دابل سكرين والبي إس بي والوي والبلاي ستيشن.
6. كانت النسخة الورقية من الجريدة اليومية تصلنا في اليوم التالي ويقرأها أكثر من عشرة أشخاص لعدة أيام. لم يكن بمقدورنا تصفح الإنترنت ولا مشاهدة الأي تي شو الذي يقدمه المذيع النابه الأستاذ أحمد يوسف ولم نكن نسمع أيضا عن هذا اللفظ على الإطلاق.
7. لم تكن الهواتف المحمولة قد ظهرت بعد ولا إظهار رقم الطالب ولا المطلوب ولا خاصية الإنتظار ولا كل هذا الإبداع التكنولوجي
8. كانت كلمة ويندوز تعني شبابيك، فقط شبابيك ولم نكن نتخيل أن تعني أكثر من ذلك، لا فيستا ولا إكس بي ولا 7 ولا 8. كانت فقط تعني شبابيك خشبية.

ولكن هل يعني ذلك أن حياة أبناء هذا الجيل كانت أفضل من جيلي والجيل الذي سبقه؟ أنا شخصيا لا أعتقد ذلك فلكل جيل ألقه ومتعته، وكذلك بعض مشاكله، فلم يكن جيلي في صغرة أو الأجيال السابقة تعاني من مشكلات

التكنولوجيا ولا المعاكسات التليفونية ولا فقد قائمة عناوين الهاتف ولا مشكلة إنقطاع الإنترنت ولا بطء التحميل، "جيلي ما كانش بيهنج."

عشش القرود*

في حديثه للجالية المصرية بقطر بمناسبة حضوره القمة العربية الرابعة والعشرين بالدوحة 2013 تساءل الدكتور محمد مرسي "لما القرد يموت القرداتي يشتغل إيه؟" وعلى الرغم من أن هذا السؤال لا يتوقع أحد أن يصدر عن رئيس جمهورية مصر العربية أيا كانت توجهاته السياسية إلا أن هذا التساؤل دفعني نحو منحى آخر وهو الحديث عن تاريخ القرود والقرداتية في مصر الحديثة.

جدير بالذكر أن هناك شياخة بحي مصر القديمة تسمى حتى الآن "عشش القرود،" كما توجد منطقة أخرى خلف محطة قطار غبريال بالأسكندرية تسمى "عزبة القرود" وقد كانت سكان هذه المناطق ممن إشتهروا بتربية القرود وترويضها لآداء حركات إستعراضية على دقات الدفوف تحاكي بعض التصرفات الإنسانية مثل "نوم العازب" و"عجين الفلاحة" وغيرهما من الحركات في سبيل جذب أنظار المشاهدين وإستخراج بعض القطع النقدية الصغيرة من جيوبهم. وفي بعض الأحيان كان القرداتية يستعينون بمعزة صغيرة السن أو حمار في عروضهم هذه.

* نشرت في 31 مارس 2013

وأعتقد أن من هم في جيل الأربعينات أو أكبر يتذكرون تلك العروض في شوارع المحروسة والمدن الكبرى والموالد الشعبية. وأذكر أنني قد شاهدت مثل تلك العروض وأعجبت بها في طفولتي في حي السيدة زينب بالقاهرة. بعد الإنفتاح في منتصف سبعينات القرن الماضي ومع إنتشار المهن الطفيلية الأخرى إختفت مهنة القرداتي وأصبحت أثرا بعد عين وعمل القرداتية في كل المهن بعد أن ماتت قرودهم. شكرا دكتور مرسي بأن أعدتنا لذكريات الزمن الجميل!

ساري عسكر وهوجة العباد في مصر المحروسة*

في يوم الأحد 21 شعبان عام 1434 هجرية الموافق لليوم الأخير من شهر يونيو من عام 2013 إفرنجي، نزل العباد الى الميادين والساحات والأسواق في هوجة عارمة على حاكم البلاد الإخوانجي محمد بن مرسي العياط رافعين اللافتات ومرددين الهتافات التي تطالبه بالنزول من القلعة وترك الحكم للعباد بعد أن إنتشر الفساد وساءت الأحوال وإنقطعت الكهرباء وشح البنزين والسولار وزادت الأسعار وشح في الأسواق الزاد .

ظل العباد في الشوارع والميادين والوالي في القلعة يتحصن بأهله وعشيرته وبعض نفر من أنصاره في بعض ميادين المحروسة ممن أتوا من المديريات القريبة من المحروسة على ظهر دواب وفرها لهم أنصار الوالي زاعمين أنهم يدافعون عن دين الله ضد الغالبية العظمى من الرعية وكأنهم يحاربون الفرنسيس والفرنجة.

* نشرت في 5 يوليو 2013

تعطلت أحوال العباد وتوقفت حركة السير وأصر الرعية على خلع الوالي وناشدوا ساري عسكر أن يتدخل لنصرتهم ضد الوالي. ذهب ساري عسكر للوالي يدعوه للنزول على مطالب الرعية لكنه أبى وإستكبر وركب رأسه فطلب ساري عسكر النصح من الأعيان والوجهاء وشيخ الأزهر والبطرك وشابين من قادة المتظاهرين وإمرأة نابهة تسمي سكينة بنت فؤاد وإجتمع بهم وتداولوا الأمر والرعية تنتظر ما سوف ينتهون إليه في شغف. خرج ساري عسكر مع الوجهاء والأعيان وغيرهم وأعلنوا النزول على إرادة الرعية وخلع الوالي وتكليف قاضي القضاة بإدارة شئون البلاد والعباد حتى تختار الرعية واليا جديدا.

ليلتها إنتشرت الأفراح في كافة ربوع المحروسة والمديريات وأطلق الخلق ألعابا تشبه القمبر تنطلق في سماء المحروسة إبتهاجا بهذا النصر العظيم وكان الخلق في شوارع المحروسة يهنئون بعضهم البعض حتى دون سابق معرفة وكانوا في فرح عظيم.

العالم العربي بعد إنتهاء الحكم العثماني*

المراحل التي مر بها العالم العربي بعد إنتهاء الحكم العثماني يمكن أن نوجزها في المراحل التالية:

1. مرحلة الإستعمار الغربي (حتى خمسينات القرن العشرين)
2. مرحلة التحرر من الإستعمار وإستبداله بالحكم السلطوي الديكتاتوري وأحيانا العسكري أو شبه العسكري - الشرعية الثورية ويمكن أن نطلق عليها أيضا مرحلة الإستحمار (النصف الثاني من القرن العشرين)
3. مرحلة الحكم الديني السلطوي الديكتاتوري - الشرعية الدينية (النصف الأول من القرن الحادي والعشرين)
4. مرحلة المواطنة وحكم الشعب (ربما تبدأ في النصف الثاني من القرن الحادي والعشرين)

يبدو أن البشر لا يتعلمون من التاريخ.

* نشرت في 24 أكتوبر 2011

عبد الحميد الثاني – آخر سلاطين الدولة العثمانية

فاتبع سببا![*]

إفترض أن إمرأة ريفية فاجأتها آلام الوضع وهي تحسب أنها حملت سِفاحا وهي في الحقل فجلست تستظل بظل نخلة في موسم إثمار النخل، هل تستطيع هذه المرأة وهي في تلك الحالة من الوهن والإرتباك أن تهز النخلة لتساقط عليها بعض الرطب؟ الإجابة المنطقية بالطبع هي لا. لماذا؟ لأن النخل لا يمكن لأحد أن يهزه مثل بعض الأشجار الأخرى لصلابة عوده، بل لا يقدر أن يفعل ذلك الرجال الأقوياء. ولكن هذا قد حدث بالفعل، كيف؟ لقد قال المولى سبحانه وتعالى في محكم التنزيل "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا" (مريم 23-25). هذا ما حدث بالفعل مع السيدة مريم العذراء أطهر نساء العالمين. قد يقول البعض أن ذلك معجزة إلهية، نعم إنها معجزة إلهية بالطبع، ولكن لنا منها العبرة والمثل. كان للقادر على كل شيء سبحانه وتعالى أن يسقط عليها ذلك الرطب الجني بدون أن يأمرها بأن تهز بجذع النخلة. إذن لماذا أمرها أن تهز بجذع النخلة؟ إن

[*] نشرت في 19 يونيو 2012

المولي سبحانه وتعالى يعلمنا بأن لكل شيء سبباً وأن علينا أن نتبع تلك الأسباب بغية الوصول للنتائج.

إذن العلاقة السببية هي سنة الله في الكون، وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. "فقد روي عنه رضي الله عنه أنه رأى رجلاً متبتلاً في المسجد: صلاة وعبادة وقراءة قرآن، فسأله: ألك عمل؟ قال: لا. قال: ومن أين تقتات؟ قال: أخي يعمل وينفق علّي. فأجابه عمر: أخوك أعبد منك. ونري في أيامنا هذه من يذهب للإمتحان وأمه في البيت ساجدة عابدة تدعو الله له أن ييسر عليه إمتحانه، فهل تعتقد أن دعاء أمه قد يصادف القبول إن لم يكن هذا الطالب قد إستذكر دروسه جيدا وإستعد لأداء الإمتحان؟ الإجابة بالطبع هي النفي.

في ذات السياق يخرج علينا من يقول أن موشي ديان قائد الجيش الصهيوني كان يقول أنه لو صلي المسلمون الصبح في جماعة لتحررت القدس. هل تعتقد أن القدس يمكن أن تتحرر إن فعل المسلمون ذلك؟ الإجابة بالطبع هي النفي. لماذا؟ لأن للحرب رجالها ووسائلها وطرائقها. نعم ربما يثبت الدعاء الرجال في المعارك ولكن لابد أن تكون هناك معارك، وإن كانت غير متكافئة. فالمولي سبحانه يأمرنا بأن نعد لأعدائنا ما إستطعنا من قوة. "وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (الأنفال – 60).

خلاصة القول أن من يتبع أسباب الله يصل الى النتائج المرجوة وإن كان فاجرا، لأن الله تعالي لا يضيع أجر من أحسن عملا. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو كانت الدنيا تَعدِل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء." لأن الله سبحانه وتعالى يرزق البر والفاجر، لذلك تقدم الغرب – الذي ننعته بالكفر – لأنه أخذ بأسباب الله (عن علم أو عن جهل) وتخلفنا نحن لأننا إكتفينا بالدعاء دون العمل، وحسبنا أن الدعاء يغني عن الأخذ بالأسباب حتى ذهب البعض الى أبعد من ذلك بأن إعتبر أن عقول الغرب قد سخرها الله لنا بأموال النفط لكي نستمتع بسياراتهم وهواتفهم ومخترعاتهم، فتخلفنا وتقدموا. إتبع سببا. أفيقوا يرحمكم الله.

الفلاحون*

على الرغم من تلاشي الفوارق بين القرية والمدينة وتمدن القرية المصرية وإنصراف أهلها عن الزراعة أو ممارستها بجانب مهن أخرى أكثر ربحا وأقل جهدا بالاضافة الى تحويلات المهاجرين منهم للدول العربية والغربية، وبالرغم من الهجرة الكثيفة من الريف الى المدن التي شهدتها مصر خلال النصف الثاني من القرن العشرين، تظل القرية في ذاكرة جيلي والاجيال التي سبقته تعني الأصالة والجذور الضاربة في أعماق الارض السوداء التي جلبتها فيضانات نهر النيل العظيم قبل أن يتم ترويضه على أيدي أبناء مصر بمعجزة السد العالي، تلك الملحمة التاريخية التي كادت أن تطويها عوامل النسيان.

القرية، بالرغم مما طرأ عليها من تغيرات، تظل هي الاصل، حتى أن أحدهم قد قال "من ليس له قرية، فليبحث له عن قرية." وغالبية أبناء مصر ينتمون لأصول ريفية، ويعتز الكثيرون بتذكير أبنائهم الذين تربوا في المدينة بأنهم قد إنحدروا من أصول ريفية. أتذكر ذلك وأنا أقرأ الكتاب الشيق الذي كتبه الأب هنري حبيب عيروط (1907-1969) "الفلاحون" والذي أعتبره من أجمل ما

* نشرت في 10 سبتمبر 2011

قرأت. وقد كتب عيروط هذا الكتاب باللغة الفرنسية عام 1938 وترجمه محمد غلاب الى العربية عام 1960، ثم تمت ترجمته الى اللغة الانجليزية بعد أن قام المؤلف بإثراء النص بالإشارة الى التغيرات التي حدثت بعد ثورة يوليو 1952 والتي من أهمها على الاطلاق قوانين الاصلاح الزراعي ونشر الخدمات الطبية والتعليمية وغيرها بالقرية المصرية، وصدرت هذه الترجمة عام 1963. وقد حصلت على نسخة أصلية من الترجمة الانجليزية الصادرة عن دار بوسطن بيكون عام 2006 من أحد مواقع الانترنت التي تبيع الكتب القديمة.

وعلى الرغم من مرور أكثر من أربعة عقود على صدور الكتاب في طبعته الأخيرة إلا أن الوصف الدقيق والمفصل لحياة الفلاح المصري كما ورد في كتاب عيروط يظل يمثل قيمة كبرى في فهم التغير الذي طرأ على القرية المصرية قبل أن تتحول الى شبه مدينة أو مسخ بين القرية والمدينة. وتحتوى الطبعة الانجليزية على مجموعة من الصور الفوتوغرافية النادرة التي تمثل حياة الفلاح المصري في النصف الاول من القرن العشرين والوسائل البدائية التي كان يستخدمها في الزراعة والتي لم تتغير منذ عهد الفراعنة.

وربما ما جعلني أتوحد مع كتاب عيروط هو أنني أمضيت طفولتي (من 1964 حتى 1975) في إحدى قرى محافظة سوهاج في صعيد مصر. وكانت قريتي، بالرغم من كونها وحدة محلية تضم مجموعة من القرى التابعة، مازالت تعيش عصر ما قبل النهضة أو ما يحلو لي أن أسميه عصر ما قبل أديسون، فلم تكن الكهرباء قد عرفت طريقها لها إلا من خلال بعض أعمدة الإنارة العمومية

الشحيحة في بعض مناطق القرية الرئيسية في آخر عهدي بها. قُدّر لي أن أرى القرية المصرية كما وصفها عيروط، فالزراعة،بالرغم من شق الترع والقنوات كانت تعتمد إعتمادا أساسيا على المجهود البشري والحيواني. كان المحراث والمذراة – المدراية – والنورج والساقية والطنبور – البدّالة – هي الادوات التي يستخدمها الفلاح المصري في قريتنا إعتمادا على جهده وجهد الحيوانات. أما الحمير المطهمة وغير المطهمة – ولا أقول الخيول – كانت هي وسيلة المواصلات داخل القرية وبينها وبين القرى التابعة لها. أما المواصلات العامة فكانت الحلزونة – الاتوبيس – أو سيارات روسية الصنع لونها أخضر جنزاري أذكر أن واحدة منها كانت أبوابها مصنوعة من الخشب، وهذه السيارات كانت تمتاز برفارف كبيرة تمتلئ بالركاب في أوقات الذروة عند ذهاب الموظفين الى العمل في عاصمة المحافظة وفي أوقات العودة.

أما الفقر والجهل والمرض فكانوا متلازمة نقص المناعة المنتشرة في الريف المصري آنذاك. أما الملابس، فقد كانت الجلاليب القطنية الملونة – المخططة – قبل أن تكتسح الازياء المصنوعة من النايلون الريف المصري بسبب الهجرة الكثيفة الى دول النفط التي ساهمت في إنتشار الجلاليب البيضاء والتي صبغت الريف بالصبغة البدوية الواردة من الخليج. زي المرأة كان بسيطا وكانت النساء غير المتعلمات يتشحن بالملاية اللف ويسرن دائما خلف ذويهن من الرجال. أما المرأة المتعلمة – الحاصلة عادة على دبلوم المعلمات الذي كان منتشرا وقتها – فقد كان يسمح لها المجتمع بإرتداء الملابس الغربية، ولكن في حشمة ووقار.

كان الطعام وقتها شحيحا ولم تكن أنواعه قد تعددت كما هو الحال الآن وكان معظم طعام أبناء قريتي من البامية –الويكة التي تطهى بدون طماطم – والملوخية – الخضراء الطازجة في وقت زراعتها أو مجففة في غير وقتها. وكان اللحم عزيزا يدخل البيوت عادة كل أسبوع مرة في المتوسط وكان من الشح بحيث يقوم رب الاسرة بتوزيعه فيعطي كل شخص نصيبه – منابه. ولم تكن من مباهج الدنيا للأطفال سوى حبات النعناع أو قوالب الحلوى الحمصية أو السمسمية – غير المغلفة بالطبع فلم تكن قد إنتشرت بعد فنون التغليف والدعاية والإعلان. أما الحلويات الطبيعية فقد كانت تتمثل في البلح الناضج أو الفج الذي يجمعه الأطفال من تحت أشجار النخيل أو ثمار النبق التي كنا نجمعها من تحت الاشجار أو نتسلق الاشجار للحصول عليها.

هذه صور قليلة مما تحتفظ به الذاكرة للقرية المصرية قبل أن تبدّلها الهجرة التي أنتجها الفقر وتفتيت الملكية الزراعية بسبب الزيادة السكانية وقبل الانفتاح على عالم المدينة. لقد قام عيروط في كتابه المذكور بتوثيق العديد من هذه الصور التي تبدو الان كصور فولكلورية مبهجة إستدعت الفنان محمد عبدالوهاب أن يغني أغنيته الشهيرة "محلاها – ما أحلاها – عيشة الفلاح" وهو لا يعلم – ربما –ما يعانيه الفلاح من كَبَد. إنها دعوة لقراءة هذا الكتاب الرائع "الفلاحون".

جهاد كيبورد*

مع إنتشار شبكات الكمبيوتر والإنترنت في مصر والعالمين العربي والإسلامي، قل عدد الرسائل البريدية التى أتلقاها إلى أن أصبحت قاصرة إلى حد كبير على المطبوعات العلمية والنشرات الدورية، وفي المقابل إزداد عدد الرسائل التي تصلني من خلال البريد الالكتروني (الايميل) يوميا من أصدقائي ومن أشخاص لا أعرفهم علي الإطلاق، وعادة ما تحمل هذه الرسائل (غير الخاصة بالعمل) محتوى ديني إسلامي، غالبا ما يكون بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة أو بعض المأثورات' بالإضافة إلى بعض الأشياء التى يختلط فيها الدين بالموروث الشعبي مثل الخوارق وكرامات بعض الأولياء وحكايات عن الجن والعفاريت وما شابه حتي إختلط الغث بالثمين ولم أعد استطيع التمييز بين ما يمكن أن احتفظ به في شكل مادة اليكترونية أو أطبع المحتوي وأحتفظ به بجواري للقراءة والعبرة والعظة، وما يجب أن أتغاضى عنه وأمحوه من ذاكرتي وذاكرة الحاسب حتى لا نصاب بالتخمة المعلوماتية.

* نشرت في 20 يونيو 2012

وعلى الرغم من أنني لا أرى غضاضة في إرسال (بعض) هذه المواد لـ (بعض) الأصدقاء والزملاء، وخصوصا القيّم منها، فإنني في ذات الوقت أرى أنه من المضيعة للوقت والمال والجهد أن يعيد مستقبل مثل هذه الرسائل إرسالها بصورة تلقائية ربما قبل التحقق من محتواها – إلى كافة عناوين البريد الالكتروني التى يحتفظ بها، من يعرف شخصيا ومن لا يعرف، وأحيانا حتي إلى غير المسلمين أو إلى غير قراء العربية.

ومع إنتشار وسائل الإعلام الإجتماعية وعلى رأسها الفيس بوك، قلت الرسائل التي تصلني من خلال بريدي الألكتروني لتشهد الرسائل التي أتلقاها من خلال حائط الفيس بوك مع نقلة كمية وكيفية حيث إزداد عدد الرسائل وتنوع محتواها بإستخدام التقنيات الحديثة الخاصة بمعالجة الصور واصبح لزاما علَي كل يوم أن أستقبل كما من الرسائل التي يرغ بك المرسل في توجيهها لأشخاص آخرين أو يرهبك بما قد يحيق بك إن لم تنشرها وإتهامه لك بأن الشيطان هو الذي منعك من إرسالها.

يعتقد البعض أن هذا العمل – المبارك – درب من دروب الجهاد ونشٌر للدعوة. ولكن يغيب عنا جميعا حقيقة أننا كلنا حينما نستقبل مثل هذه الرسائل ولا نجد وقتا لقراءتها نقوم بإعادة إرسالها للآخرين للحصول علي ثواب سهل دون الخوض في تفاصيلها وهكذا يفعل الكثيرون. وطمعا في الحصول على ثواب أكثر تحتوي غالبية هذه الرسائل على بعض العبارات التى تحث المستقبِل على إرسالها لأكبر عدد ممكن من الزملاء!

في أيام المحن والأزمات تكثر تلك النوعية من الرسائل الالكترونية التي تحثنا على المقاطعة، مقاطعة المنتجات الغربية، ومقاطعة العلمانيين والليبراليين والغرب الذي ننعته بالكُفر صباحاً ومساء. والمدهش أن رسائل المقاطعة تصلنا عبر الفيس بوك، الإختراع الذى أبتكره الغرب. قد يقول قائل، وماذا يضيرك من تلك الرسائل؟ إن لم تعجبك فلا تعيد إرسالها لأحد. وأعيد وأقول أن مثل هذا الفعل يعد تفريغا لطاقة روحانية في غير محلها. ليس هذا طريق الإصلاح، إن كان لديك الوقت والجهد فساهم أولا في محو أمية من حولك.

لا تنخدع بعبارة "لن يكلفك شيئا إن شاركتها مع أصدقائك" أو أن "الشيطان يسيطر عليك إن لم ترسلها" لأن من تحب عندما يستقبل الرسالة يرسلها هو أيضا لمن يحب دون أن يفكر في محتواها، وبذلك ندور جميعا في حلقة مفرغة وربما بعد فترة قصيرة تصلك نفس الرسالة مرة أخرى وترسلها بدون أن تقرأها إلى من تحب وهكذا دواليك ... المطلوب وقفة تأمل ومراجعة !

خصوبة المسلمين في تناقص مستمر*

بمناسبة تصريح الشيخ يوسف القرضاوي في خطبته بالجامع الأزهر يوم الجمعة 16 نوفمبر 2012، وسعادته بتزايد عدد المسلمين وإنخفاض أعداد غيرهم على مستوى العالم، أود أن أقول له إن خصوبة المسلمين في تناقص مستمر وبالأرقام الموثقة، كما أود أن أوضح لكم إن علماء السكان الذين يعملون على وضع الخطط والبرامج لتخفيض الخصوبة في الدول النامية إنما يفعلون ذلك لكي يضمنوا حياة كريمة للناس، وأن علماء السكان الذين يعملوا على زيادة الخصوبة في أوروبا لا يفعلوا ذلك إلا ليضمنوا حياة كريمة للناس أيضا.

في الدول النامية عندما يقل عدد الأطفال تقل أعباء المعيشة وفي الدول المتقدمة اللي ما بتخلفش تقريبا، زيادة عدد الأطفال يزود الناس اللى ممكن تشتغل علشان ياخدوا منهم تأمينات إجتماعية يقدروا يدفعوا بيها معاشات التقاعد للعواجيز اللي نسبتهم وصلت لأكثر من 20% من السكان في مقابل أقل من 5% في الدول النامية علشان العواجيز يعيشوا حياة كريمة ... الموضوع ما فيهوش تقليل مسلمين ولا زيادة كفار واللى ممكن تعمله قنبلة نووية واحدة اكتر

* نشرت في 17 نوفمبر 2012

من اللى ممكن تعمله 100 كتيبة مشاه! وعلى فكرة أكتر من 40% من تعداد العالم الإسلامي عيال ... أقل من 15 سنة.

المعاكسات بعد الثورات العربية*

وصلتني هذه الرسالة من الصديق العزيز الأستاذ صلاح عبدالتواب وبها بعض التعليقات المصاحبة للثورات العربية فيما يخص الغزل العفيف - وغير العفيف أحيانا - تأثرا بأجواء الثورات العربية، والى نص الرسالة:

- أمووت في الانفلات الأمنى
- أمووت في الشفافيه....
- عاوزك في حوار وطني يا جميل
- أنا أبويا معتقل وأمي في التحرير، والبيت فاضي يا جميل...
- الجميل من هنا ولا مرتزقه؟
- تحرير ولا مصطفى محمود يا قطة؟
- صوابعك دي ولا صوابع خارجيه؟
- ده إنتي تقولي للريس قوم و أنا أقعد مطرحك
- إمتى النظام يسمح يا جميل- وانزل معاك ميدان التحرير
- نفسي إيدي و إيد أبوكي تبقي إيد واحده

* نشرت في 27 أبريل 2011

- أكيد مامي دبابه علشان تجيب الصاروخ ده كله.

إنتهت الرسالة ولم تنته خفة الدم العربية .. ولم تنته الثورات حتى الآن ... قلوبنا معكم في كافة أقطار العالم العربي التي تتوق للحرية والكرامة.

العلوم الشرعية المستباحة*

هل تتخيل أنك إن رافقت أحد المرضي في رحلة علاجه بما يتطلبه ذلك من إصطحابه الى المستشفيات وعيادات الأطباء المتخصصين وساعدته في إجراء الأشعة العادية والمقطعية وتلك التي تعتمد على الرنين المغناطيسي وإصطحبته الى معامل التحاليل وتسلمت التقارير الخاصة به وصرفت له الدواء من الصيدليات، وسهرت بجواره الليالي الطوال تعطيه الأدوية التي قررها الأطباء في مواعيدها وإستدعيت له من يعطونه الحقن المقررة وقمت بمساعدته في قياس ضغط الدم وتحليل مستوى السكر في الدم في المنزل بإستخدام الوسائل الحديثة التي تمكنك من ذلك أنه أصبح بمقدورك ممارسة مهنة الطب بعد هذه التجربة التعليمية الخصبة؟ هل يمكنك من خلال المعلومات التي إكتسبتها خلال هذه الرحلة – وإن طالت – أن تدعي أنه قد أصبح لديك القدر الكافي من المعرفة لكي تفتي في هذا المجال وأن تضع يديك على مواطن الداء؟ هل يمكنك أن تفتتح عيادة طبية لمناظرة المرضي وتشخيص أمراضهم وعلاجها؟

* نشرت في 27 أكتوبر 2010

هل إذا ساقتك الظروف للعمل في جمع البيانات من خلال إستمارة إستبيان من بعض الأُسر في إحدى الدراسات الميدانية أن تصبح عالما من علماء الإجتماع وأن تتمكن من تحليل البيانات الواردة في إستمارة الإستبيان وأن تضع يدك على مناقب المجتمع ومثالبه ومشكلاته وأن تضع الحلول المناسبة لهذه المشكلات؟

هذا فيما يخص العلوم الطبيعية والعلوم الإجتماعية على حد سواء، والإجابة على التساؤلات السابقة هي النفي القاطع، فلا يمكن تصور أن يعمل أي إنسان بمهنة الطب دونما تلقي أصول هذا العلم ومناهجه والتدريب العملي عليه في كليات الطب والمراكز المتخصصة حيث يدرس علوم الفيزياء والكيمياء والتشريح وعلم وظائف الأعضاء وغيرها. وكذلك الحال بالنسبة للعمل في العلوم الإجتماعية، فلا نتصور عالما في علم الإجتماع دونما الإلتحاق بمعاهده ومدارسه المتخصصة أو دونما الإلمام التام بقواعد ومناهج الدراسة في علم الإجتماع والإلمام التام بأدبيات العلوم الإجتماعية والنظريات المختلفة لهذا العلم التي صاغها العلماء من أمثال إبن خلدون وأوجست كونت وسان سايمون وأميل دوركايم وصولا الى أنتوني جيدنزوغيرهم.

قياسا على ما سبق، وإذا ساقتك الظروف للعمل بمملكة آل سعود في مدرسة إبتدائية أو في محل بقالة مواجه للحرم الشريف وأتيحت لك الفرصة للتردد على الحرم المكي لآداء العمرة والصلاة في الحرم المكي وأتاح لك وقت فراغك أن تحضر الدروس الدينية لبعض المشايخ هناك واطلقت لحيتك تيمناً بسنة

المصطفي عليه الصلاة والسلام وإرتديت الجلباب الأبيض وغطيت رأسك بقطعة من القماش الأبيض أن تدعى المعرفة بالعلم الشرعي دون دراسة منهجية للعلوم الشرعية (العقيدة والفقه والتفسير والحديث) التي وضع أصولها أئمة العقيدة والفقه والتفسير والحديث على مر أربعة عشر قرنا من الزمان والتي يتم تدريسها في معاهدها المتخصصة وجامعاتها العامرة الممتدة عبر بلدان العالم الإسلامي؟ هل يمكنك إن قرأت كل ما كتب في هذه العلوم دونما دراسة لمناهج البحث أن تتبوأ مكانة العلماء الذين أفنوا عمرهم في دراسة هذ العلوم الشرعية ؟ هل يحق لك أن تقول أنك تتلمذت على يد فلان أو فلان بينما كنت من بين الجموع الغفيرة التي تحضر دروسهم الدينية الموجهة لعامة المسلمين والزائرين لهذه البقاع المقدسة؟ هل تدرك الفرق بين الدراسة الممنهجة والوعظ والإرشاد لعموم المسلمين؟

هل يمكنك بعد ذلك أن تجادل من تلقوا العلم في معاهده المتخصصة وأن تشكك في علمهم وقد تلقيت علمك ومعرفتك من خطب المساجد التي يُقصد بها عامة المسلمين؟ هل يسمح لك ذلك بأن تتكني بأسماء كأسماء الأئمة الكبار وأن تسمي نفسك أبو البهاء محمد بن عباس الأسيوطي المصري لمجرد أن لك إبن إسمه بهاء (مجرد مثال)؟ الأسئلة أكثر من الإجابات ولكن حالنا المذري بين الأمم حتى تداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها كما أنبأنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتطلب منا جميعا أن نبحث عن إجابات ....

اليوم الدولي للمهاجرين*

في الرابع من ديسمبر 2000، أعلنت الامم المتحدة يوم الثامن عشر من كانون الاول/ديسمبر من كل عام يوما دوليا للمهاجرين. وقد تم إختيار هذا اليوم ليكون يوما دوليا للمهاجرين لتزامنه مع يوم إعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة للإتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم (القرار رقم 158/45 ، بتاريخ 18 ديسمبر 1990). وعلى الرغم من تأخر هذه المبادرة الأممية من 1990 الى 2000، إلا أنها في كل الاحوال مبادرة طيبة ترمي الى التوعية بقضايا الهجرة على المستوى العالمي.

وعلى الرغم من إعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة للإتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم في ديسمبر 1990، إلا أن هذه الاتفاقية لم تدخل حيز التنفيذ إلا في يوليو 2003 بعد أن صادقت عليها عشرون دولة من الدول الاعضاء بالأمم المتحدة. ومن مندوه القول أن إرتباط اليوم الدولي للمهاجرين بالإتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين

* نشرت في 18 ديسمبر 2010

وأفراد أسرهم لعام 1990، يؤكد أن إحتفالنا باليوم الدولي للمهاجرين موجه في الاساس للعمالة المهاجرة.

وقد صادقت على الاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم 46 دولة فقط حتى الآن، ويلاحظ أن غالبية الدول التي صادقت على الإتفاقية هي الدول المرسلة للعمالة وليست الدول المستقبلة لها. أما على صعيد العالم العربي، فقط صادقت على الإتفاقية ستة دول عربية فقط هي مصر والمغرب (1993)، وليبيا (2004)، والجزائر وسورية (2005)، ثم موريتانيا عام 2007. ومن الملاحظ أن القائمة العربية، بإستثناء ليبيا، تخلو تماما من الدول العربية المستقبلة للعمالة وخاصة دول الخليج العربي التي يوجد بها أكثر من 15 مليون مهاجر. ويظل الإخوة في دول الخليج العربي يرددون في المحافل الدولية عباراتهم المعتادة على شاكلة "أن دول الخليج لها خصوصيتها" على الرغم من أن لكل دولة ومنطقة في العالم خصوصيتها وأن الخصوصية ليست قاصرة على دول الخليج فقط، و"أن دول الخليج ليس بها هجرة على الاطلاق" و"أن ملايين الاجانب المتواجدين في دول الخليج ما هم إلا عمالة وافدة، يقومون بآداء أعمالهم ثم يغادرون الى بلدانهم،" إلا أن واقع الحال يشير بالطبع إلى أنهم لا يغادرون، وإن غادروا جاء غيرهم، ولابد لإخوتنا في الخليج، إن عاجلا أو آجلا، أن يجدوا حلولا غير تقليدية لمواجهة هذا الملف الشائك. أضف الى ذلك خلو قائمة الدول التي صادقت على تلك الإتفاقية من بلدان أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية.

في هذا اليوم، اليوم الدولي للمهاجرين، لابد أن يؤكد المجتمع الدولي على ضرورة حماية العمال المهاجرين وأسرهم من كافة أشكال التمييز، ولابد أن يعمل المجتمع الدولي على حث الدول كافة، والدول المستقبلة للعمالة خاصة، على المصادقة على هذه الإتفاقية التي تصون حقوق العمال المهاجرين وأسرهم الذين يبلغ عددهم 215 مليون مهاجر على مستوى العالم، والذين إذا إجتمعوا في دولة واحدة لكان ترتيبها الخامس من حيث الحجم على مستوى العالم بعد أندونيسيا التي تحتل المرتبة الرابعة بعد كل من الصين والهند والولايات المتحدة.

فضلا عن ذلك، يجب علينا أن نعمل على تصحيح التصورات الخاطئة عن المهاجرين وأن نلقي مزيدا من الضوء حول مساهمات المهاجرين الاقتصادية والثقافية والإجتماعية لكل من بلدان إقامتهم الحالية وبلدانهم الاصلية. وبمناسبة اليوم الدولي للمهاجرين، لابد أن نجعل من الهجرة جسراً لتواصل الحضارات وإثراءً للتنوع الثقافي لمصلحة البشرية.

#IAmAMigrant
International Migrants Day 18 DECEMBER

المجانين في نعيم ... والجهلاء أيضا![*]

غالبيتنا يتذكر هذا الفيلم الجميل الذي أخرجه حسن الصيفي عام 1963 وقام ببطولته الفنان إسماعيل ياسين بعنوان "المجانين في نعيم" الذي يحكي عن قصة قنديل الذي خرج بعد عشرة سنوات في مستشفي المجانين ليواجه حياة مليئة بالمفارقات التي تدفعه بعد فترة قصيرة من الحياة بين العقلاء الى الذهاب مرة أخرى الى مستشفى المجانين والتوسل إلى البواب لكي يدخله خاصة وأنه رأى أن عالم العقلاء يؤكد له أن المجانين فى نعيم.

وفي ذلك يقول الشاعر:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

ويقول الشاعر العربي رقيق المشاعر إبراهيم ناجي:

كل شيء قد صار مّرا في فمي بعد ما أصبحت بالدنيا عليما
من يأخذ عمري كله ويعيد لي الطفل والجهل القديما

[*] نشرت في 9 ديسمبر 2010

دائما ما ندعو الله في موروثنا الديني بأن يرزقنا إيمانا "كإيمان العوام،" وهو ذلك الإيمان البعيد عن الجدل والفلسفة والتصنيفات والتعريفات، الإيمان الذي يتسق والفطرة النقية السليمة.

ربما تكون محصلة هذا النقاش أن الجنون والجهل نعمتان يفضيان إلى راحة البال والنعيم، ولكن ربما أصل الى محصلة أخرى وهي أن طالب العلم والمعرفة، وإن كان يشقى في سبيل تحصيل العلم والمعرفة، إلا أنه دائم التطلع لآفاق أوسع لسبر أغوار المعرفة الإنسانية الواسعة، وربما لا يسعني في نهاية هذا الحديث إلا أن أحمد الله على شقاء المعرفة، مفضلا هذا الشقاء على الجهل والجنون.

تلك المهزلة الرمضانية*

كل عام وأنتم بخير بمناسبة شهر رمضان المبارك! لقد هلت نسائم رمضان منذ أكثر من ثلاثة شهور متخمة بالإعلانات الخاصة بالدراما الرمضانية التي أصبحت تتصدر المائدة الرمضانية كل عام. وعلى الرغم من الأجواء الروحانية التي تهب نسائمها بحلول الشهر الكريم وتصفيد – تقييد – شياطين الجن في هذا الشهر المبارك، إلا أن شياطين الإنس لم تدع تلك الفرصة وباتت تمارس هذا الدور بإقتدار لتحل محل شياطين الجن في هذا الشهر. ومع وجود أكثر من ثمانين مسلسلاً تليفزيونيا والعديد من برامج الفضائح التي تستهوى العديد من المشاهدين الذين أدمنوا مشاهدة هذه الفضائح والتفتيش في التاريخ الشخصي لنجوم الفن وسقطاتهم وآثامهم فإن الهدف الأسمى من شهر رمضان وهو العبادة ربما يكون قد حل في مرحلة متأخرة من أولويات العديد من الصائمين وبات يتمثل فقط ربما في الحرص على صلاة التراويح.

ولا يعلم المشاهد المخدوع أنه يدفع من جيبه ومن قوته وقوت أسرته فاتورة هذا الطوفان الرمضاني الدرامي، فالممثلين الذين أصبحوا قدوة لأبنائنا ولجيل الشباب

* نشرت في 10 أغسطس 2010

يتقاضون أجورهم المبالغ فيها والتي تصل الى ملايين الجنيهات وآلاف الدولارات لمجرد الظهور في حلقات نبش الماضي مثل تلك الراقصة التي تقاضت مبلغ 40 ألف دولار لمجرد الظهور لمدة تقل عن الساعة في أحد هذه البرامج، أو ذاك الممثل الذي حصل على مليوني جنيه لبطولة هذا المسلسل أو ذاك، أجور هؤلاء المشخصاتية والراقصات ونجوم الفن وقدوة الشباب يتقاضون هذه المبالغ الفلكية من منتجي هذه الأعمال الذين يراهنون على أموال الإعلانات، التي تفسد متعة المشاهدة، إن كانت هناك متعة.

ولا يدفع المعلنون هذه الأموال إلا للتربح والترويج لسلعهم. هل تعلم أن كوب الزبادي أو علبة الشامبو التي تشتريها يذهب جزءً من ثمنها، في نهاية المطاف لتمويل هذا السفه؟ هل تعلم أن هذا السفه يؤدي الى رفع الأسعار لأن الإعلان المبالغ فيه عن هذه السلع يمثل جزءً كبيرا من التكلفة غير المباشرة لهذه المنتجات؟ هل تعلم أنك الممول الرئيس لهذا السفه؟

أتمنى لكم صوما مقبولاً وإفطاراً شهياً .... وكل عام وأنتم بخير،،،،،

العانسون من الرجال*

يطلق لفظ عانس في المفهوم العربي عادة على البنات اللاتي لم يلحقن بقطار الزواج، ويختلف العمر الذي تتحول فيه الفتاة من آنسة الى عانسة - اقصد عانس - بإختلاف البيئات والمناطق، فقد تعتبر الفتاة عانس وهي في مطلع العشرينات من العمر كما هو الحال في اليمن وريف مصر، بينما يرتفع هذا العمر الى 30 عاما في بعض الدول وبخاصة في المدن. والأصل اللغوي لكلمة عانس هو من قول العرب عنست البنت عنسا وعنوسا، أي بقيت لمدة طويلة بعد بلوغها دون زواج، فهي عانس، والجمع عوانس، وعلى الرغم من أن المقابل الذكوري لكلمة عانس هو أعزب أو عازب، إلا أنني أرى أن هذا اللفظ قد يمتد ليشمل الذكور أيضا.

وعلى الرغم من أنه لا توجد إحصاءات دقيقة لرصد الظاهرة، إلا أن التقديرات تشير الى أن قرابة 50 بالمائة من الإناث في العالم العربي قد تجاوزن سن الـ 30 دون زواج. ويرجع ذلك في المقام الأول للظروف الإقتصادية الصعبة التي يمر بها الشباب في ظل معدل بطالة 14 بالمائة في المتوسط في العالم العربي، وكذلك

* نشرت في15 سبتمبر 2010

إرتفاع نفقات الزواج ومشكلة الإسكان والمغالاة في المهور وتكاليف الأفراح والليالي الملاح. كل ذلك أدي الى عدم قدرة الشباب على الزواج حتى أن بعضهم يتمني الزواج من فتاة هندية حيث تدفع الفتاة هناك المهر للعريس بعكس ما يحدث في بلادنا .

في الأزمان العابرة كان الرجال هم وقود المعارك وكان القبيلة الفائزة تقتل رجال القبيلة المهزومة وتأسر نسائها وأطفالها لتبيعهم في سوق النخاسة أو تستبقيهم لديها، وكان نتاج ذلك أن زاد عدد النساء عن عدد الرجال وبذلك كان التعدد هو النمط السائد وهو ما صورته لنا السينما العالمية والعربية في صورة ذلك الرجل المتعدد الزوجات والخليلات، بالاضافة للجواري والغلمان والعبيد. نخلص من ذلك أن التعدد في ذلك الوقت كان ضرورة مجتمعية لعلاج الخلل الديموغرافي الذي تسببه الحروب التي كان يروح ضحيتها عادة الرجال .

عندما نزلت رسالة الإسلام حدت من التعدد وقصرته في حده الأعلى على أربعة نساء بشرط العدل بينهم والذي هو بعينه من رابع المستحيلات.ولكننا في عصرنا هذا هناك توازن في العدد بين الرجال والنساء وبالرغم من ذلك نجد تلك الدعوة لتعدد الزوجات بحجة القضاء على العنوسة وستر بنات المسلمين، وأتذكر خطيب المسجد الذي أصلي فيه عندما كان يحث المصلين بعد عرض مسلسل "الحاج متولي" منذ عدة سنوات وهو يدعونا جهارا نهارا في خطبة الجمعة لتعدد الزوجات وأتذكر ما قاله بالحرف الواحد "تزوج فهذا حقك الشرعي ولا تستشر زوجتك."

يحضرني في هذا السياق أحد مشايخ الفضائيات وقد بلغ من العمر أرزله وهو يقول "الحمد لله أنا حمواتي بيحبوني." تتماهى مع هذا التيار بعض الجمعيات النسائية التي تدعو لتعدد الزوجات. يتناسى الجميع أن هذا الكم الهائل من الشباب - الذكور - الذين يتحرقون لبناء عش الزوجية والذين أسميهم - العوانس من الرجال - الذين لا يستطيعون الزواج في ظل هذه الظروف الإقتصادية الخانقة، هؤلاء الذين حرموا من حقهم الشرعي في الزواج على حساب الدعوة لتعدد الزوجات. إن هذه الدعوة حق يراد به باطل. فالأولى بهذا الشيخ المسن أن يزوج بنات وأبناء المسلمين ليعف الإناث والذكور بدلا من أن يتفاخر بأن حمواته يحبونه والشباب "مش طايل حتى حماة واحدة ولو حتى زي ماري منيب" ولا عزاء للشباب.

حلاق بروكسل*

نظرا لتوقف رحلات الطيران من والى غالبية العواصم الأوروبية جراء الرماد البركاني الناجم عن بركان أيسلندا والذي ضرب هذه الجزيرة القطبية إبتداء من 14 أبريل 2010، إضطررت للبقاء في بروكسيل وتم إلغاء رحلة الطيران التي كنت سوف أكون على متنها للتوجه للقاهرة في زيارة قصيرة، وإضطررت كذلك الى أن أبحث عن حلاق في بروكسيل لتهذيب شعري. توجهت إلي الحاج رضا - مصري من كفر الشيخ - بمتجره الكائن في شارع برابانت عله يدلني على حلاق عربي في نفس المنطقة. توجه معى أحد العاملين المصريين في محل الحاج رضا وأرشدني على أحد محال الحلاقة التي يديرها أحد الإخوة المغاربة وأوصاه بي خيراً. كان هذا الحلاق في مطلع الثلاثينات من العمر، إنتظرت طويلا حتى أتم الحلاقة لصبي في حدود الخامسة عشرة من العمر. أطال الحلاق في حلاقة شعر هذا الصبي بالرغم من أن النتيجة الهائية كانت تقريباً حلاقة شعر رأسه بالكامل، إلا من شعيرات قليلة أعلى جبهة الصبي. ذكرني هذا النوع من الحلاقة بالحلاقة التي كانت سائدة بين الصبية غير المتعلمين من أبناء قريتي في صعيد مصر منذ أكثر من 30 سنة، النتيجة واحدة، ولكن كمال الفولي،

* نشرت في30 مايو 2010

حلاق قريتنا لم يكن لديه صالون حلاقة، ولكنه كان يتجول بين البيوت والحقول وكان صالون حلاقته مصطبة من الطوب اللبن أمام بيت أي من الزبائن أو ربما على رأس أحد الحقول. وكانت الحلاقة في ذلك الوقت نقدا أو بمقابل عيني من المحصول وقت الحصاد من قمح أو ذرة وربما فول، ربما كان عم كمال يحب ذلك تيمنا بإسمه.

تذكرت صالون كراون للحلاقة الكائن بأحد الشوارع المتفرعة من شارع الهرم بالجيزة وتذكرت الأسطى هشام صاحب الأصابع الذهبية الذي إعتدت على الحلاقة لديه، ولكن لا مفر من الحلاقة هنا ولا تنفع الذكرى في مثل هذه الحالات. إنتهي صاحبنا من الحلاقة للصبي ودعاني لقدري الذي لا مفر منه وإستسلمت لأمواسه تعبث في رأسي. من المعروف عن الحلاقين أنهم ثرثارون، ربما يرجع ذلك لطبيعة عملهم التي تدعو للملل فهم ربما يسّرون عن أنفسهم بالحديث إلي الزبائن، أو ربما كنوع من المجامل والترحاب بزبائنهم، ولكن الملاحظ أن حكايات صالونات الحلاقة تحولت الى شكوى. فبمجرد أن يعبث الحلاق بخصلات شعرك يبدأ في الشكوى من الغلاء ومن صاحب الصالون وأحيانا من زوجته أو حماته، أما إذا توسم فيك أنك من أصحاب المناصب والعلاقات العامة فقد يميل الى رفع شكواه اليك ربما تساعده في تخليص مهمة عسيرة لدى البلدية أو أن تجد فرصة عمل لأحد أبنائه.

صاحبنا الحلاق المغربي طويل القامة، نحيف، حليق شعر الرأس، ذو لحية غير مهذبة لا تفارق الإبتسامة وجهه النحيف المستطيل. تبدو على ملامحه سمات

التدين. بادرني بالسؤال: إنت مصري؟ فأجبته بالإيجاب، وبدلا من يجيبني بما هو معتاد في هذه المواقف من أنه يتمنى زيارة مصر وأنه معجب بالحضارة الفرعونية والأهرامات وأم كلثوم وعبدالحليم أو حتى تامر حسني وشعبان عبدالرحيم، وجدته يتحدث في إتجاه آخر لم يكن لي عهد به من قبل حيث فاجأني بالقول: أجمل شيئ في مصر هو الشيخ محمد حسان. مازحته بالقول أن به من ملامح محمد حسان الكثير. أعجبه التعليق ولكنه إستمر في حديثه قائلا أنه كثيرا ما يشاهد الشيخ محمد حسان في قناتي الناس والرحمة. تعجبت لقوله، ولكنه أكمل حديثه مؤكدا أنه حريص على مشاهدة هاتين القناتين عبر الأقمار الصناعية وأن هذا هو أهم ما يجذبه لمصر وإنه يتمنى لو إستطعت في زيارتي القادمة لمصر أن أهديه بعض شرائط الكاسيت والإسطوانات الخاصة بالشيخ محمد حسان .

بعد أن إنتهى صديقنا من حلاقة شعر رأسي وجدت أن صاحبنا قد حفر قناتين في أم رأسي لم أتدارك آثارهما إلا عندما عدت للقاهرة لتهذيب شعر رأسي مرة أخرى على يدي الأسطى هشام في صالون كراون للحلاقة .. وتبقي الذكرى ... ذكرى قناتي الناس والرحمة، ليس في التلفاز، ولكن في أم رأسي!

عبد الباسط عبد المعطي: رحيل رجل عظيم*

عندما نكبر ونتقدم في العمر، تكبر معنا أحزاننا وتتساقط أوراق شجرة الحياة التي نستظل بها واحدة بعد الأخرى. وها هي ورقة أخرى من أوراق المعرفة تتساقط. فقد رحل عن عالمنا مساء يوم الأربعاء 26 مايو 2010 المفكر العربي المصري الكبير وعالم الإجتماع الأستاذ الدكتور عبدالباسط عبدالمعطي. برحيل الدكتور عبدالمعطي فقدت مصر عالما جليلا عاش مسكونا بحب هذا الوطن وأمضي سني عمره في كشف بواطن عالمه الإجتماعي وتقديم الحلول البسيطة للمشكلات المعقدة. وكان الأستاذ الدكتور عبدالباسط عبد المعطي القدوة والمثل لكوكبة كبيرة من شباب الباحثين والدارسين في علم الإجتماع في مصر والعالم العربي على حد سواء .

للأسف لم أنل شرف الجلوس أمام الدكتور عبدالباسط عبدالمعطي كطالب علم، ولكنني تعلمت منه الكثير من خلال علاقتي المتميزة به والتي بدأت من خلال عملنا من خلال إدارة السياسات السكانية والهجرة بجامعة الدول العربية. قابلته عام 2002 بصحبة صديقنا المشترك الأستاذ خالد لوحيشي

* نشرت في 28 مايو 2010

مدير إدارة السياسات السكانية والهجرة. كنت قد قرأت له من قبل دراسته المتميزة حول الهجرة الداخلية في مصر أثناء إعداد أطروحتي لنيل درجة الدكتوراة بجامعة ساسكس بإنجلترا. تقابلنا بعد ذلك كثيرا وعملنا سويا في العديد من الفعاليات الخاصة بإدارة السياسات السكانية وكذلك من خلال عملنا سويا كخبراء لدى اللجنة الإقتصادية والإجتماعية لغربي أسيا (الإسكوا). وأتذكرحديثه معي في مدينة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 2007 حيث حضرنا سويا مؤتمرا حول الشباب نظمته الإسكوا وأتيح لي أن أنهل من تجاربه الثرية وأبحاثه في مجال الهجرة والشباب .

من ضمن أعماله الأخيرة التي ألقت الضوء على الطبقة الوسطى المصرية كتابه الذي نشر ضمن أعمال مكتبة الأسرة والذي نفذ فور صدوره بعنوان "الطبقة الوسطي المصرية من التقصير الى التحرير عام 2006. وقد إشتكى لي وقتها الدكتور عبدالمعطي من أنه هو شخصيا وهو مؤلف الكتاب لا يمتلك نسخة من هذا الكتاب. ذهبت الى معرض الكتاب بعد حديثنا هذا ووجدت الكتاب فإشتريت نسخة له ونسخة أخرى لي ولكن لم تتح لي الفرصة لتسليمه نسخته. لابد لي الآن أن أحتفظ بها تذكارا جميلا من عالم جميل. لقد كان بالفعل جميلا محبا للجمال ساعيا اليه في كافة المجالات.

كان لقائي به للمرة الأخيرة بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة حيث شاركنا سويا في الحفل الإقليمي لإطلاق النسخة العربية من تقرير التنمية البشرية 2009 في 14-15 مارس 2010 الذي أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

بالتعاون مع إدارة السياسات السكانية والهجرة بالجامعة ، والتي كان عالمنا الجليل يعمل مستشارا لها. لقد كان الرجل كعادته، قمة في التواضع ورصانة التفكير والبعد عن اللهجة الصِدَامية التي أصبحت سائدة في حوارات أيامنا هذه. كان آخر حديث لي معه في إحدى المناقشات الجانبية خلال هذا الإجتماع كان تعليقا حول كتاب كنت قد أهديته إليه حول الإتصالات وأثرها على المجتمع المصري. رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما أعطي لهذا الوطن. والله هذه صدمة كبيرة لي ولمحبي الدكتور عبدالباسط .

يوميات بروكسل*

بروكسل مدينة كئيبة ليس لها سمت مميز. أكثر ما يميزها وتفتخر به ويعتبر مزارا سياحيا هاماً هو تمثال لطفل صغير عار طوله 59 سنتيمتر وهو يتبول. هذا التمثال يعد قبلة الزائرين وقد وضع فوق نافورة مياه بما يسمح له بأن يتبول ليل نهار. وهناك حكايات عديدة حول هذا التمثال منها ما يحكى من ان ماسا كهربائيا قد حدث في المدينة وقام هذا الطفل بالتبول عليه مما أدى الى إخماده وإنقاذ المدينة من حريق مدمر! ومنها ما يحكى حول هذا الطفل العاري في أجواء بروكسل الممطرة الباردة، من أنه فُقِد من أمه في احد الأسواق فلما بحثوا عنه وجدوه وهو يتبول فأقامت أسرة الطفل هذا التمثال عرفانا بجميل أهل المدينة الذين ساعدوها في العثور عليه، وحكايات أخرى كثيرة يحكيها المرشدون السياحيون لزوار " النصب التذكاري" لهذا الطفل المعجزة .

أضف الى ذلك تعدد اللغات في هذه المدينة التي تنقسم بين متحدثي الفرنسية – اللغة الرقيقة – ومتحدثي اللغة الفلامنكية – الخشنة الغليظة. أضف الى ذلك مجموعة عديدة من اللغات الأوروبية والعربية باللهجة المغربية أيضاً،

* نشرت في 16 أبريل 2010

فالمدينة تُعَدُ العاصمة الإدارية للإتحاد الأوروبي وتوجد بها كبرى مؤسساته مثل حلف الناتو ومقر الإتحاد الأوروبي والبرلمان الأوروبي. ولكن ما أن تقيم في المدينة لبضعة أيام حتى تشعر بالغربية الموحشة. فالمدينة، بالرغم من مبانيها القديمة، إلا أن الحداثة الفجة المتمثلة في البنايات الحديثة، تُخرجك على الفور من أي إحساس بالعراقة. كما يتسرب الك إحساس قوي بأنها مدينة على عجل أو مدينة في طور التحول Transitional city نظراً لكونها مدينة الموظفين أو العاملين نظرا لكثرة الغرباء فيها الذين يعملون في مؤسسات الإتحاد الأوروبي سالفة الذكر حتى أنه يندر أن تقابل مواطناً بلجيكيا، فعالبية من تتعامل معهم من الغرباء أو ممن إرتضوا لأنفسهم ان يتخذوا من هذه البلاد موطناً لهم.

لا يخرجك من هذا الجو المقبض إلا الذهاب الى شارع برابانت Rue de Brabant الذي يقع بجوار محطة قطار الشمال .Gard du Nord لا مجال للمقارنة بين هذه المحطة والمحطة التي تحمل نفس الإسم في باريس، فهذه المحطة تعتبر شديدة التواضع مقارنة بمحطة باريس الشهيرة. عند خروجك من محطة قطار الشمال، التي تبعد أقل من كيلو متر واحد عن وسط المدينة، تصطدم عيناك بمحال البغاء حيث النساء تجارة رخيصة لطالبي المتعة خلف زجاج هذه المحال. بعد أن تتجاوز قليلا هذا المكان الآثم تشعر وكأنك قد إنتقلت الى إحدى مدن الشمال الأفريقي، ولا أجد تفسيرا حتى الآن لهذا التضاد .

في شارع برابانت أنت في نسخة محسنة من أسواق العتبة أو الموسكي في القاهرة أو أسواق مراكش الشهيرة في المغرب، فالنساء غالبيتهن من المحجبات، واللهجة العربية – المغربية – هي السائدة. وبما انني مصري صميم، فإنني أبدو للوهلة الأولي كإخوتنا من أبناء المغرب العربي. إشتريت لعبة لإبني الصغير أحمد، فإذا بي أجد البائع وكان في أوائل العشرينات من عمره يسألني بعفوية شديدة: "نجيبلك صاك سيدي" أي هل تريد كيسا يا سيدي. في هذا المكان يمكن أن تتذوق الكسكسي وكافة أنواع الطعام المغربي، كما أنك يمكن ان تستمتع بوجبة سمك شهية في المطعم المصري الموجود في الشارع الذي يملكه الحاج عبدالله ويعمل به مجموعة من الشباب المصري والمغربي الجميل. أما إذا أردت شراء شيشة – أرجيلة أو رنجيلة – فيمكنك شرائها من أي من المحال الكثيرة المنتشرة في الشارع، ولكن أنصحك بشرائها من الحاج رضا إبن الحامول بمحافظة كفر الشيخ بمصر والذي يقيم هنا منذ سبع سنوات، يبيع الشيشة وأدوات التدخين وشرائط وإسطوانات الأغاني المصرية والمغربية والعربية الأخرى. عندما تشتري شيشة من الحاج رضا سوف تحصل على الفحم مجاناً.

العمالة المصرية بين نظام الكفيل وشركات التوظيف*

يعد نظام الكفالة أو ما يسمي بالكفيل هو النظام الحاكم لسوق العمالة في دول الخليج العربي, المقصد الرئيسي للعمالة المصرية. ومن خلال هذا النظام يتم التعاقد مع العمالة الوافدة للعمل داخل هذه الدول. وقد يكون الكفيل شخصا أو شخصية اعتبارية مثل المؤسسات وجهات العمل المختلفة.

ويعتبر الكفيل من الناحية القانونية هو المسئول عن العامل . المكفول . ماديا وقانونيا خلال فترة عمله بالدولة, ويوقع الكفيل تعاقدا بينه وبين وزارة العمل في الدولة المستقبلة للعمالة يقر فيه بمسئوليته عن هذا العامل, وبذلك يصبح المكفول رهن إرادة الكفيل وأية مفاوضات مع العامل حول الأجر أو المهام الوظيفية أو غيرها تدار بواسطة الكفيل. كما يحق للكفيل منع المكفول من التنقل والسفر دون إذنه ويحق له أيضا مصادرة جوازات سفر مكفوليه. وقد تعرض نظام الكفيل, للعديد من الانتقادات من قبل الأفراد ومنظمات حقوق الانسان ومنظمة العمل الدولية لما يؤدي إليه هذا النظام من شعور العامل بأنه رهينة لدي الكفيل وما يمثل للعامل من عدم الشعور بالأمان وعدم قدرته علي

* نشرت في 11 مايو 2010

التفاوض بحرية حول حقوقه. وقد أعلنت مملكة البحرين في مايو2009 إلغاء نظام الكفيل وبدأ العمل بذلك ابتداء من أغسطس2009.

وبرغم من أن الهدف الأساسي لنظام الكفيل هو حفظ حقوق الطرفين . الكفيل والمكفول . وتنظيم سوق العمل في الدولة المستقبلة, فإن التجاوزات التي شابت تطبيق هذا النظام أدت الي تحوله الي تجارة رائجة لبيع التأشيرات واستقدام عمالة زائدة عن حاجة الاقتصاد في الدول المستقبلة.

فالعمالة تعاني من عدم وجود نظام موحد أو جهة واحدة لاستقدام العمالة حيث تتوزع هذه الاختصاصات عادة بين وزارات العمل ووزارات الداخلية وبعض الجهات الأخري.

من جهة أخري تمثل شركات توظيف العمالة بدولة المنشأ . مصر . مصدرا آخر للمشكلات التي يعاني منها راغبو العمل بدول الخليج, حيث تعد هذه الشركات حلقة الوصل بين راغبي العمل في بلد المنشأ . مصر . والكفيل في دول الخليج. وعلي الرغم من الرقابة الصارمة التي تفرضها وزارة القوي العاملة والهجرة علي هذه الشركات والتي تصل الي حد تصفية أنشطة العديد من هذه الشركات, فإن سجل هذه الشركات حافل بالمخالفات التي تؤكد تواطؤ بعض هذه الشركات مع الكفيل بدول الخليج, وذلك بالحصول علي مبالغ خيالية مقابل توفير فرص عمل بهذه الدول .

وبدلا من أن تحصل هذه الشركات علي عمولتها نظير توفير العمالة المناسبة من الكفيل, باتت تحصل علي أضعاف هذه العمولات من راغبي العمل, بل الأكثر من ذلك هو منح هذه الشركات مبالغ مالية للكفيل للحصول علي تصاريح العمل لبيعها لراغبي العمل في هذه الدول. أضف الي ذلك أن بعض هذه الشركات تتكفل بكافة نفقات الكفيل إذا قرر الحضور الي مصر لإجراء مقابلات شخصية مع طالبي العمل, ويتضمن ذلك في بعض الأحيان رعاية البرنامج الترفيهي للكفيل أثناء وجوده في مصر. ويصل ما تتقاضاه بعض الشركات لتوفير فرصة عمل بالخليج الي30 ألف جنيه.

لذلك يمكن القول بكثير من الثقة, أن العمالة المصرية المتجهة لدول الخليج تقع بين فكي رحي: شركات التوظيف المصرية, ونظام الكفيل الخليجي, فالأول يتحصل سلفا, وقبل أن تطأ قدما العامل المصري دولة المقصد, علي ما يعادل دخل العامل المصري خلال العام الأول من غربته في دول الخليج, أو ما يعادل مدخراته خلال عامين من الغربة بافتراض أنه قد يستطيع توفير نصف دخله هناك لتحويله الي مصر. أما العامل الثاني وهو الكفيل, فهو لا يكتفي فقط بفرض شروط مجحفة قد لا تكون موجودة في التعاقد الأصلي مع العامل, مثل فرض أجر جديد أقل من المتفق عليه أو الإخلال بالمزايا الأخري المنصوص عليها في العقد, ولكن يتجاوز ذلك كله الي حرمان العامل من حقوقه التي نصت عليها الأعراف والمواثيق الدولية مثل الاحتفاظ بوثيقة سفره.

وقد كفلت المواثيق الدولية حماية حقوق العمال المهاجرين وأسرهم, ولكن يلاحظ أن دول الخليج العربي, التي يفترض أن تكون المسئولة عن حقوق العاملين لديها, لم تصادق علي الاتفاقية الدولية لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم الصادرة عن الأمم المتحدة عام 1990. فعلي صعيد العالم العربي, صادقت علي هذه الاتفاقية ست دول عربية فقط هي مصر والمغرب (1993), وليبيا (2004), والجزائر وسورية (2005), ثم موريتانيا عام 2007. ومن الملاحظ أن القائمة العربية, باستثناء ليبيا, تخلو تماما من الدول العربية المستقبلة للعمالة خاصة دول الخليج العربي التي يوجد بها أكثر من 15 مليون مهاجر.

ولكن المواثيق الدولية وحدها ليست كافية لحماية العمالة المهاجرة, حيث إن علي دول المنشأ اتخاذ كافة التدابير اللازمة لحماية مواطنيها, ليس فقط علي أراضيها, ولكن أيضا في كافة أرجاء المعمورة. وعلي ذلك فإن مصر يجب أن تبذل جهدا أكبر لحماية العاملين المصريين العاملين بالخارج من خلال جهود وزارة الخارجية التي يجب أن تقوم بحملة إعلامية لتصحيح المفاهيم الخاطئة حول سفاراتنا وقنصلياتنا بالخارج لجعل المصريين بالخارج أكثر ارتباطا بمؤسساتهم. وكذلك لابد لوزارة القوي العاملة والهجرة من إعداد وتأهيل المستشارين العماليين بدول الخليج وزيادة أعدادهم في الدول التي تستضيف أعدادا كبيرة من العاملين المصريين. كما يجب أن تضطلع الدولة بكافة مؤسساتها بتأهيل وتدريب العمالة المصرية الراغبة في العمل بالخارج, بالإضافة الي إعداد برامج

تأهيل للمسافرين لتعريفهم بحقوقهم القانونية من خلال ما يعرف بـ إرشادات ما قبل السفر وجعل مثل هذه البرامج إجبارية لكافة المسافرين بغرض العمل في تلك الدول.

الكفيل
تأليف: د. أيمن زهري
تقديم: سامح قنوري

المؤلف

الدكتور أيمن زهرى باحث متخصص في الدراسات السكانية ودراسات الهجرة، عمل بالبحث والتدريس والعمل التنفيذي بالمجلس القومي للسكان (مصر) والمركز الديموجرافي بالقاهرة وأكاديمية تطوير التعليم ومركز جامعة ساسيكس لدراسات الهجرة بإنجلترا والجامعة الأمريكية في بيروت والجامعة الأمريكية بالقاهرة والمركز الدنماركي للدراسات الدولية بكوبنهاجن. كما عمل مستشاراً في مجالات السكان والهجرة لدى جامعة الدول العربية والمنظمة الدولية للهجرة والبنك الدولي ومنظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية والإتحاد الأوروبي، بالإضافة للعديد من المنظمات والهيئات الإقليمية والوطنية.

نُشِر للدكتور زهرى العديد من الأبحاث والمقالات المتعلقة بالدراسات السكانية ودراسات الهجرة في العديد من الدوريات العلمية الدولية وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات الوطنية والإقليمية والدولية المرتبطة بمجالات إهتماماته البحثية، كما نُشِر له العديد من المقالات في الصحافة المصرية والعربية. صدر له عدة كتب باللغة العربية خلال السنوات القليلة الماضية منها "دفتر أحوال المجتمع المصري"عام 2006 و"التجربة الدنماركية" عام 2007 ورواية "بحر الروم" عام 2008 وكتاب حول الإتصالات والمجتمع في مصر عام 2010.

الدكتور زهرى عضو نشط في العديد من الجمعيات العلمية المرتبطة بمجالات إهتمامه ومنها, على سبيل المثال, الجمعية الجغرافية المصرية وجمعية الديموغرافيين المصريين والإتحاد الدولي للدراسة العلمية للسكان والجمعية الدولية لدراسة الهجرة القسرية والجمعية الأوروبية للدراسات السكانية.

على المستوى الشخصي، يهوى المؤلف التصوير الفوتوغرافي الرقمي والفنون الشعبية والغناء الصوفي، والعمارة الإسلامية.

توجد نسخة كاملة من هذا الكتاب وكتب أخرى
بموقع المؤلف على الشبكة الدولية للمعلومات

www.zohry.com

الطبعة الأولي 2014

هذا الكتاب

منذ صدور كتابي الأخير "سلفني 3 جنيه" حول الإتصالات والمجتمع في مصر عام 2010، يسألني الزملاء والأصدقاء دائما: لماذا توقفت عن الكتابة؟ أين كتبك الجديدة؟ في الحقيقة لا يمكن لباحث أن يتوقف عن الكتابة لأن الكتابة بالنسبة للباحث كالحياة، لا يجف قلمه إلا عندما يتوقف نبضه. الحكاية أنني تحولت بعض الشيء للكتابة الآنية العفوية التي يسّرتها الوسائط الحديثة وشبكات التواصل الإجتماعي مثل التويتر والفيسبوك فاصبحت أبوح لتلك الوسائط بمكنون صدري. إلا أنني وقد تربيت على الورقة والقلم، أجدني أحن الى رائحة الورق وأحبار المطابع فأجمع بعضا مما كتبته على الفيسبوك منذ صدور كتابي الأخير عام 2010 وأضعه بين دفتي هذا الكتاب.

المؤلف

الطبعة الأولي 2014